(حقوق الاخوة)

كنا شرعنا في بيان حقوق الاخوة والصداقة ملخصة من الاحياء فذكرنا منها حقين وهما المتعلقان بالنفس والمال وحالت كثرة المواد دون شرح سائر الحقوق (وهي ستة) فكففنا عنها ناوين الرجوع اليها عند سنوح الفرصة وقد سنحت الآن فنقول

(الحق الثالث) في اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى . أما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به وان لا يماريه ولا يناقشه وان يسكت عن التجسس والسؤال عن احواله واذا رآه في طريق أو حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره وموارده لا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وليسكت عن أسراره التي بثها اليه ولا يبثها الى غيره البتة ولا الى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئاً منها ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن . وان يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده وان يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فان الذي سبّك من بلّغك . وقال أنس كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه احداً بما يكرهه . والتأذي يحصل أولا من المبلغ ثم من القائل . نعم لا ينبغي ان يخفى ما يسمع من الثناء عليه فان السرور يحصل من المبلغ ثم من القائل واخفاء ذلك من الحسد

وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق بأمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكراهته فان ذلك احسان اليه في التحقيق وان كان يظن انه اساءة في الظاهر . اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي أهله فهو من الغيبة المحرمة ويزجرك عنه أمران احدهما ان تطالع أحوال نفسك فان وجدت فيها شيئاً وأمرا مذموما فهوّن على نفسك ما تراه من أخيك وقدّر انه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة كما انك عاجز عما أنت مبتلى به . ولا تستقله بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب . وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكثر من حق الله عليك . والامر الثاني انك تعلم انك لو طلبت منزهاً عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن

تجد من تصاحبه أصلا فما من أحد من الناس الا وله محاسن ومساو فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى فالمؤمن الكريم أبداً يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام . وأما المنافق اللئيم فانه أبداً يلاحظ المساوي والعيوب . قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات . وقال الفضيل الفتوة العفو عن زلات الاخوان ولذلك قال عليه الصلاة والسلام استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان رأي خيراً ستره وان رأي شراً أظهره . وما من شخص الا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه أيضاً . روي ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام أنت بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم أرضاني بالامس فقلت احسن ماعلمت فيه واغضبني اليوم فقلت أقبح ماعلمت فيه فقال عليه السلام ان من البيان لسحرا (١) وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر . ولذلك قال في خبر آخر «البذاء والبيان شعبتان من النفاق» وفي حديث آخر «ان الله يكره لكم البيان كل البيان» (٢) ولذلك قال الشافعي رحمه الله ما احد من المسلمين يطيع الله عز وجل فلا يعصيه ولا احد يعصي الله عز وجل فلا يطيعه فمن كان طاعاته أغلب من معاصيه فهو عدل . واذا جعل

(١) الحديث عند احمد والبخاري وابي داود والترمذي وسببه انه لما جاء وفد تميم كان فيهم الزبرقان وعمرو بن الاهتم فخطبا ببلاغة وفصاحة ثم قال الزبرقان يارسول الله انا سيد بني تميم والمطاع فيهم والمجاب لديهم امنعهم من الظلم وآخذ بحقوقهم وهذا يعلم ذلك . فقال عمرو انه شديد العارضة مانع لجانبه مطاع في اذينه . فقال الزبرقان والله لقد علم مني اكثر مما قال وما منعه ان يتكلم الا الحسد فقال عمرو انا احسدك ؟ فوالله انه للئيم الخال حديث المال ضعيف الطعن احمق الولد . والله يارسول الله لقد صدقت فيما قلت أولا وما كذبت فيما قلت آخرا ولكني رجل ان ارضيت قلت أحسن ماعلمت وان أغضبت قلت اقبح ماوجدت ولقد صدقت في الاولى والاخرى فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحراً (٢) هذا الحديث رواه ابن السني وهو ضعيف والذي قبله رواه الترمذي وحسنه والمراد باليان المذموم بيان الخلابة الذي يرى الحق باطلا والباطل حقاً فينخدع به الناس

مثل هـذا عدلا في حق الله فبان تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه ايضا . وحدّه ان لاتحمل فعله على وجه فاسد ماامكن ان تحمله على وجه حسن فاما ماانكشف بيقين ومشاهدة فلايمكنك ان لاتعلمه وعليك ان تحمل ماتشاهد على سهو ونسيان ان امكن وهذا الظن ينقسم الى مايسمى تفرسا وهو الذي يستند الى علامة فان ذلك يحرك الظن تحريكا ضروريا لايقدر على دفعه والى مامنشؤه سوء اعتقادك فيه حتى اذا صدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه ان تنزله على الوجه الاردأ من غير علامة تخصه بها وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن اذ قال صلى الله عليه وسلم « ان الله حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء » (هو في مسلم بلفظ آخر) وقال صلى الله عليه وسلم « اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث » اي حديث النفس . وسوء الظن يدعو الى التجسس والتحسس وقال صلى الله عليه وسلم في تتمة الحديث الذي ذكر آنفاً « ولاتجسسوا ولاتحسسوا ولاتناجشوا ولاتحاسدوا ولاتباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله اخواناً ولايخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح او يترك » رواه مالك واحمد والشيخان والترمذي . والتجسس يكون في تطلع الاخبار وتعرف الاسرار بالواسطة والتحسس يكون بالمراقبة بالعين واستراق السمع بالنفس الا بالواسطة والتناجش هو ان تستام السلعة باكثر من ثمنها ليراك الآخر فيقع فيها . فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل الدين . وقد وصف الله تعالى بالستر والتجاوز والمرضي عنده التخلق باخلاقه . فاذا كنت تحب ان يرضى فيتجاوز عنك فتجاوز انت عمن هو مثلك او فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مملوكك . وقد روي ان عيسى عليه السلام قال للحواريين كيف تصنعون اذا رأيتم اخاكم نائما وقد كشفت الريح ثوبه عنه قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع الكلمة في اخيه فيزيد عليها ويشيعها باعظم منها

واعلم انه لايتم ايمان المرء مالم يحب لاخيه مايحب لنفسه (كما ورد في الصحيحين وغيرهما) واقل درجات الاخوة ان يعامل اخاه بمايحب ان يعامله به ولاشك ان ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولو ظهر منه نقيض ماينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما ابعده عن الانصاف اذا كان ينتظر منه مالايضمره له ولا يعزم عليه لاجله وويل له بنص كتاب الله تعالى حيث قال « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا

على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون » وكل من يلتمس من الانصاف اكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية . ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد فان الحقود الحسود يملأ بطنه بالخبث ولكن يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالا واذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء ويترشح الباطن بخبثه الدفين . ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع اولى . قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد . ولايزيد لطف الحقود الاوحشة منه ومن في قلبه سخيمة على اخيه فايمانه ضعيف وامره مخطر وقلبه خبيث لايصلح للقاء الله تعالى اه بتصرف (له بقية)

آثار علمية حديثة

﴿ تقريظ وانتقاد ﴾

(التاريخ الاثري من القرآن الشريف) كتيّب ألفه حديثا الكاتب الاديب مصطفى افندي الدمياطي المشهور فضله بما له من الآثار القلمية في الجرائد . ويدل اسمه على انه جمع ماجاء في القرآن الكريم من قصص الانبياء واحوال الامم وبينها بما لايخرج عن معنى القرآن . وذكر في فاتحة الكتاب ان الذي حمله على هذا التأليف هو مساعدة اهل النهضة العلمية الحديثة على التربية الدينية فقد قال فيها بعد تعظيم شأن الدين مانصه (فضلا عن ذلك فقد قص المولى سبحانه وتعالى قصصاً شتى في الكتاب العزيز تكفي لتربية العقول وتأصيل الاعتقاد به وبصفاته الكمالية فكم في قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام من مرشد الى حسن اخلاقهم وقوة جاشهم وسعيهم في هداية الخلق وتعليمهم اساليب التوحيد بما يحث على التمسك بالفضائل ويحض على الكمالات ذلك هو السبب الذي حملني على جمع هذا الكتاب بمثل هذا